الحديث السادس عشر

قال رسول الله ﷺ :

« إن العبدَ ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقى لها بالا ، يرفَعُه اللهُ بها درجات ، وإنَّ العبدَ ليتكلّم بالكَلمةِ من سخَطِ اللهِ لا يُلقى لها بالا يَهْوِى بها فى جهنَّم » .

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . . . إلخ ٨ / ١٢٥ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه به .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب الأمور المنهى عنها : باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ من حديث أبى هريرة به ، وعزاه إلى البخارى .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى: مختار الحسن والصحيح ص١٩٤ رقم (٦٣٧) من حديث أبى هريرة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه البخارى » .

معناه :

إذا التزم الإنسان بمنهج ربه، وحقّق فى نفسه معنى العبودية، فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ يحبه ويرضى عنه ، وإذا أحبه ربه ورضى عنه ، وفقه للخير دوما ، وسدد خطاه فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، حتى أنه ليفعل الشىء ـ أحيانًا ـ غير مفكر فى عاقبته ، فيرفعه الله به درجات ودرجات ، أما إذا تمرد على منهج ربه ، وأبى أن يكون عبدا له سبحانه ، فإن الله يبغضه ويغضب عليه ، وإذا أبغضه الحق ـ سبحانه ـ وغضب عليه خذله فى كل موقف ، وتخلى عنه فى كل شدة ، حتى أنه ليفعل الشىء ـ أحيانا ـ غير مفكر فى عاقبته ، فيهوى به فى النار دركات ، ودركات .

والحديث الذى نحن بصدده الآن يلقى ظلالا على ذلك :

إذ يبين النبى ﷺ فيه : أن العبد المحظى برضوان الله موفق ومسدد ، إلى حدّ أنه يتكلم بالكلمة ـ أحيانا ـ لا يعيرها اهتماما ، ولا يفكر فى عاقبتها ، ثم هى مع ذلك تكون سببا فى رفعه عند الله ـ عز وجل ـ درجات، وأن العبد المغضوب عليه من ربه، مخذول ومؤاخذ إلى حد أنه يتكلم بالكلمة ـ أحيانا ـ لا يعيرها اهتماما ، ولا يفكر فى عاقبتها ، ثم هى مع ذلك تكون سببا فى هويه فى النار دركات . وهكذا يتجاوز رب العزة عن بعض هفوات وزلات المرضى عنه إلى حد أنه يرفعه بها درجات ، ويؤاخذ ويعاقب المغضوب عليه فى كل ما يصدر عنه حتى الهفوات البسيطة إلى حد أنه يلقيه بها فى النار دركات .

وإليك بعض النصوص فى فضيلة الصمت وحفظ اللسان :

قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق] ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) ﴾ [الفرقان] ، ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾ [القصص] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « . . . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت » [١] .

---

[١] جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، وباب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه . . . إلخ ٨ / ١٣ ، ٣٩ ، وفى الرقاق : باب حفظ اللسان . . . إلخ ٨ / ١٢٥ من حديث أبى هريرة ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار . . . إلخ ١ / ٦٨ رقم (٧٤)، وأبو داود فى : السنن: كتاب الأدب : باب فى حق الجوار ٤ / ٣٣٩ رقم (٥١٥٤) ، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٣٠٩] ، وفى البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٤٥/٨] ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب كف اللسان فى الفتنة ٢ / ١٣١٣ رقم (٣٩٧١) بلفظ : « أو ليسكت » ، والدارمى فى : السنن : كتاب الأطعمة : باب فى الضيافة ٩٨/٢، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٤١٢ .

وعن أبى موسى ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أى المسلمين أفضل ؟ قال : «من سلم المسلمون من لسانه ويده » [١] .

وعن أبى هريرة ﷺ أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » [٢] .

وعن أبى عبد الرحمن بلال بن الحارث المزنى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » [٣] .

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، ولْيَسَعْكَ بيتك ، وَابْكِ على خطيئتك » [٤] .

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « إذا أصبح ابن آدم ، فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان ، تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » [٥] . إلى غير ذلك من النصوص .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان تفاضل الإسلام وأى أموره أفضل ١/ ٦٦ رقم (٤٢)، والبخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان :باب أى الإسلام أفضل ؟ ١ / ١٠ بلفظ : « أى الإسلام أفضل ... » ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فى الهجرة هل انقطعت ؟ ٤/٣ رقم (٢٤٨١)، والترمذى فى: السنن : كتاب صفة القيامة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٣١٠]، وفى الإيمان [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠/ ٩٣ ـ ٩٥]، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب أى الإسلام أفضل ؟ ٨ / ١٠٦ ، ١٠٧، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق : باب فى حفظ اللسان ٢/ ٢٩٩، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ١٨٧، ١٩١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد : باب التكلم بالكلمة يهوى بها فى النار ... إلخ ٤/ ٢٢٩٠ رقم (٢٩٨٨) من حديث أبى هريرة ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٧٩ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ١٩٧]، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الفتن : باب كف اللسان فى الفتنة ٢ / ٣١٣ رقم (٣٩٦٩)، ومالك فى : الموطأ ص ٦٠٩ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٢٤٧]، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٤٨ ، ١٥٨ ، ٥ / ٢٥٩ بلفظ متقارب .

(٥) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٢٤٧، ٢٤٨] ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٩٦ .

وتكفير الأعضاء للسان: كناية عن تنزيلها له منزلة الكافر بالنعم، أو المراد: خضوعها وانقيادها له.

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ الحرص على استجلاب رضوان الله ومحبته ، لما يترتب على ذلك من توفيق الله ، وتسديده لعبده ، وعفوه عن كثير من هفواته وزلاته ، بل وإثابته عليها . وسبيل استجلاب هذا الرضوان ، وتلك المحبة الالتزام بمنهج الله والتفانى فى طاعته والابتعاد عن معصيته .

٢ ـ ضرورة التفكر فى عاقبة الكلمة قبل النطق بها ؛ إذ ربما تكون مما لا يرضى به الله ، فتردى صاحبها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب .

٣ ـ حفظ اللسان وصونه إلا عن خير ، ويساعد المسلم على ذلك :

* أن يتذكر أنه إحدى العلامات الدالة على صدق الإيمان وقوة اليقين .

* وأن يتذكر أنه يكون سببا فى دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم .

* وأن يتذكر أن كلمة واحدة غير محسوبة ولا منضبطة ، قد تجر عليه وعلى قومه ويلات وويلات ، فضلا عن أنها تكون سببا فى دخوله النار دهورًا وأحقابا .

* وأن يتذكر أن كثرة الكلام بغير مصلحة، تقسى القلب، وأن أبعد الناس من الله القلب القاسى .

* وأن يتذكر أن اللسان هو مفتاح استقامة الجوارح أو اعوجاجها ، فإن استقام استقامت ، وإن اعوج اعوجت .

الحديث السابع عشر

قال رسول الله ﷺ :

«الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارُهم فى الجاهلية خيارُهم فى الإسلامِ إذا فَقُهُوا ، والأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ ، فما تعارَفَ منها ائتلفَ ، وما تناكَر منها اختلف » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب الأرواح جنود مجنّدة ٤ / ٢٠٣١ ، ٢٠٣٢ رقم (٢٦٣٨) من حديث أبى هريرة به ، غير أنه قال : « كمعادن الفضة والذهب » بدل : « كمعادن الذهب والفضة » .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٦ / ٣٧ رقم (٦٦٧٣) من حديث أبى هريرة به .

معناه :

يؤمن الإسلام بأن العدّة فى إيقاظ همة الحاضرين هى أن نحدوهم بأمجاد ومفاخر الماضين ؛ لذا رأيناه لا يتنكر لما للناس من أمجاد ومفاخر ، بل يبقى عليها ويرفع من قدرها شريطة أن تحاط بفقه فى دين الله يجعلها دافعا للتواضع والتآلف والترابط ، وليس التعالى والتقاطع والتدابر . والحديث الذى بين أيدينا الآن تصوير دقيق لهذا المعنى ؛ إذ فيه يخبر النبى ﷺ : أن الناس معادن متابينة كمعادن الذهب والفضة ، منهم من له أمجاد ومفاخر ماضية توقظ همته ، وتحرك إرادته ، وتحمله على التضحية بالغالى والنَّفيس ولاسيما فى ساعات المحن والشدائد ، ومنهم من لا يملك من هذه الأمجاد وتلك المفاخر شيئا ، فهمّته نائمة وإرادته ساكنة ، كما يخبر أن أصحاب الأمجاد والمفاخر الماضية فى مقدورهم الاحتفاظ بأمجادهم ومفاخرهم حتى بعد إكرام الله لهم بالإسلام ، شريطة أن يكون هناك فقه فى دين الله ـ عز وجل ـ يحميهم من الغرور والتكبر والتعالى على الجماعة المسلمة ، ويحملهم فى نفس الوقت على التواضع ،

والتآلف ، والتوادّ ، فيقول : « خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وإليك :

أولا : بعض النصوص الواردة فى فضل الفقه فى دين الله والحث عليه :

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾ [التوبة] ، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ، ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[البقرة : ٢٦٩]

ويقول النبى ﷺ : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » (١) .

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها » (٢) .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل ١/ ٢٧، وفى الخمس: باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ ٤/ ١٠٣، وفى الاعتصام: باب قول النبى ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم » ٩ / ١٢٥ من حديث معاوية ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق » ٣ / ١٥٢٤ رقم (١٠٣٧) ، وفى الزكاة : باب النهى عن المسألة ٢ / ٧١٨ رقم (١٠٣٧) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠ / ١١٤] ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٠ رقم (٢٢٠) من حديث أبى هريرة، ومعاوية ، والدارمى فى : السنن : المقدمة : باب الاقتداء بالعلماء ١ / ٧٤ ، وفى الرقاق : باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ٢ / ٢٩٧ من حديث معاوية ومن حديث ابن عباس ، ومالك فى: الموطأ ص ٥٦١، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٠٦، ٢ / ٢٣٤، ٤ / ٩٥، ٩٨، ١٠١ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح كتاب العلم : باب الاغتباط فى العلم والحكمة ١ / ٢٨ ، وفى الزكاة : باب إنفاق المال فى حقه ٢/ ١٣٤ ، وفى فضائل القرآن : باب اغتباط صاحب القرآن ٦/ ٢٣٦ ، وفى الأحكام : باب أجر من قضى بالحكمة ٩ / ٧٨ ، وفى التمنى : باب تمنى القرآن والعلم ٩/ ١٠٤، وفى الاعتصام: باب ما جاء فى اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى ٩ / ١٢٦ ، وفى التوحيد: باب قول النبى ﷺ: « رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به . . . إلخ » ٩ / ١٨٩ بألفاظ وطرق مختلفة، وأخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه . . . إلخ =

« العلماء ورثة الأنبياء »(١) .

« ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »(٢) .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم »(٣) . إلى آخر هذه النصوص .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى فضل الألفة فى الله والحث عليها :

يقول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

ويقول النبى ﷺ :

« المؤمن إلف مألوف ، ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف »(٤) .

« ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار »(٥) .

« إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم

= ٥٥٨/١ رقم (٨١٥) ، والترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٢١/٨]، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الحسد ٢ / ١٤٠٧ رقم (٤٢٠٨) ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٨٥ ، ٤٣٢ ، ٢ / ٩ ، ٣٦ ، ٨٨ .

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى فى:الصحيح : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل . . . إلخ ١ / ٢٦ بلفظ : « وأن العلماء هم ورثة الأنبياء » ، وأبو داود فى : السنن : كتاب العلم : باب الحث على طلب العلم ٣ / ٣١٧ رقم (٣٦٤١) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١ / ١٥٥] ، وابن ماجه فى : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١ رقم (٢٢٣) ، والدارمى فى : السنن : المقدمة : باب فى فضل العلم والعالم ٩٨/١، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ١٩٦ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب العلم [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٥٤/١] ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨١ رقم (٢٢٢) .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى:السنن:المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨١ رقم (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك ، وأورده ابن عبد البر فى : جامع بيان العلم وفضله ١ / ٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٠٠ بلفظ متقارب .

(٥) سبق تخريجه ص ٦٨ .

وقربهم من الله ـ عز وجلّ ـ يوم القيامة » ، فقام أعرابى من قاصية الناس ، فقال : انعتهم لنا يا رسول الله ، حتى نعمل بأعمالهم ، فَسُرَّ النبىﷺ لسؤال الأعرابى ، وأشرق وجهه ، ثم قال : « هم قوم من أفنان الناس ، ونوازع القبائل ، لم تجمع بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا فى الله ، وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، ثم يجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يحزن الناس يوم القيامة ولا يحزنون ، ويفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وأولئك هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) . إلى غير ذلك من النصوص .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ أهمية الفقه فى دين الله ـ عز وجل ـ إذ به يستطيع المسلم أن يقطع الطريق على الشيطان ، ويصون نفسه من الزلل ، ويتحرر من كل خُلق قبيح أو مرذول .

٢ ـ أن الفقه فى الإسلام سجية ، وخلق لازم للمسلم يدرك به أسرار ، وخصائص المنهج الإلهى ، وعليه فطريقه ليست كامنة فقط فى حفظ مسائل العلم ، وحشو الذاكرة بها ، بل لابد أن يضم إليها : التزام دقيق بالإسلام ، وسهر بالليل ، وظمأ بالنهار ، وتنزه عن الشبهات ، بل وعن المباحات التى تخدش المروءة ، « من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم » (٢) .

٣ ـ أن إلف المؤمنين ومحبتهم دليل على اعتدال الفطرة ، ونقاء السريرة ، وأن بغضهم ومقاطعتهم بل ومحاربتهم دليل على خبث النيّة ، وسوء الطويّة .

٤ ـ أن عدتنا فى إيقاظ همم الحاضرين أن نحدوهم ونذكرهم بأمجاد ومفاخر الماضين .

٥ ـ أن الإسلام لا يرفض أمجاد ومفاخر الماضين ، بل يحترمها ويبقى عليها مشترطا أن تقترن بفقه يحميها من الانحراف أو الاعوجاج .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٣٤٣ .

(٢) أورده العلجونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ / ٣٤٧ . وقال : « رواه أبو نعيم عن أنس » . وقد أشار فضيلة الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة إلى أنه من كلام عيسى ابن مريم . رسالة المسترشدين للمحاسبى ص ١٠٠ .

الحديث الثامن عشر

قال رسول الله ﷺ :

« الذى يخالطُ الناسَ ويصبرُ على أذاهُم ، أعظمُ أجرًا منَ الذى لا يخالط الناسَ ولا يَصْبِر على أذاهم » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب القيامة [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩ / ٣١٢] باختلاف فى اللفظ .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٨ رقم (٤٠٣٢) من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

ورواه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٣ ، ٥ / ٣٦٥ .

وأورده السيوطى فى : الجامع الصغير ٦ / ٢٥٥ بهامش فيض القدير من حديث ابن عمر به ، وعزاه إلى أحمد فى المسند ، والبخارى فى الأدب ، والترمذى وابن ماجه فى السنن .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ٣٧٨ رقم (١٤٢٨) به وعقب عليه بقوله : « رواه أحمد » .

معناه :

يشهد الواقع الذى نعيشه ـ نحن البشر ـ أن الإنسان بمفرده لا يستطيع أن يلبى كل مطالبه ، ويوفر سائر حاجياته ، وأبسط مثال على ذلك : رغيف الخبز ، فإنه مع صغر حجمه لا يصل إلى الإنسان إلا بعد عمل عشرات ، بل مئات من البشر ، تعاونت على تجهيزه ، وإعداده ، وتقديمه ، ومن زعم أن بوسعه الاعتماد على نفسه فى تحصيل هذا

الرغيف ـ الصغير فى حجمه ، البسيط فى مكوناته ـ فإنه سيموت ، أو سيشرف على الموت قبل أن يحصل عليه ، وإذا كانت حال الإنسان كذلك فى أمر سهل هيّن كرغيف الخبز ، فكيف لو كان مكلفا من قبل ربّه :

ـ أن يقيم دينه فى نفسه ، حتى توجد الشخصية الإسلامية الجامعة لكل خصال الخير ، المتأبيه على كل خصال الشر ، المستأهلة لعون الله وتأييده ونصره :

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ [الزمر] .

ـ وأن يدعو غيره إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، بحيث تستخلص العناصر الجيّدة الصالحة ، المستعدة للتضحية والبذل ، والفداء ، فيكثر بها سواد المسلمين .

ـ وأن يجاهد الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، بحيث تظل الراية الإلهية عالية خفاقة فى العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) ﴾ [التوبة ، والتحريم : ٩] .

ـ أن كل هذه التكاليف توجب وتحتم على الإنسان المسلم أن يعيش مع آخرين يعينونه ، ويؤيدونه ، ويؤازرونه فى سبيل تحقيقها ، وذلك ما نطق به الحديث الذى معنا الآن ؛ إذ فيه يخبر النبى ﷺ أن الذى يعيش مع الناس ، ويتحمل أذاهم ، أعظم أجرا ، وأكثر نفعا ، من ذلك الذى يعيش منفردا مؤثرًا السلامة ، والعافية .

وإليك :

أولا : بعض النصوص الواردة فى فضل مخالطة الناس والحث عليها :

يقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة : ٢]

ويقول النبى ﷺ : « ألا أخبركم بخير الناس ؟ رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، ألا أخبركم بالذى يتلوه ؟ رجل معتزل فى غنيمة له يؤدى حق الله فيها ، ألا أخبركم بشر الناس ؟ رجل يسأل بالله، ولا يعطى به » (١) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب فضائل الجهاد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٧/ ١٥٥]، والنسائى فى: السنن: كتاب الزكاة: باب من يسأل بالله ـ عز وجل ـ ولا يعطى به ٥/ ٨٣، والدارمى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب أفضل الناس رجل يمسك برأس فرسه فى سبيل الله ٢/ ٢٠١، ومالك فى : الموطأ ص ٢٧٦ .

وسئل ﷺ : أى الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله » قالوا : ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ، ويدع الناس من شره » (١) .

وجاء : أن رجلا مالت نفسه إلى العزلة ، فسأل النبى ﷺ عنها ، فقال : « لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » (٢) . إلى آخر هذه النصوص .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى العزلة وموقف العلماء منها :

هذا وقد وردت نصوص أخرى ترغب فى العزلة والبعد عن الناس مثل :

قوله ﷺ : « إن الله يحب العبد التقى ، الغنى ، الخفى » (٣) ، « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » (٤) ، « من خير معاش الناس لهم . . . أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويعبد ربّه

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ٤ / ١٨ عن أبى سعيد الخدرى ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والرباط ٣ / ١٥٠٣ رقم (١٨٨٨) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل من يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله ٦ / ١١ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب العزلة ٢/١٣١٦، ١٣١٧ رقم (٣٩٧٨) ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٣٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب فضائل الجهاد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٧ / ١٥٤] .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٧٧ رقم (٢٩٦٥) ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ١٦٨ ، ١٧٧ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب من الدين الفرار من الفتن ١/ ١١، وفى الفتن : باب التعرب فى الفتنة ٩ / ٦٦ من حديث أبى سعيد الخدرى ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الفتن والملاحم : باب ما يرخص فيه من البداوة فى الفتنة ٤ / ١٠٣ رقم (٤٢٦٧) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب الفرار بالدين من الفتن ٨ / ١٢٣، ١٢٤ ، وابن ماجه فى : السنن: كتاب الفتن : باب العزلة ٢ / ١٣١٧ رقم (٣٩٨٠) . ومالك فى : الموطأ ص ٦٠١ ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٦ ، ٤٣ ، ٥٧ .

حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خير » (١) ، « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » (٢) . . . إلخ .

وبناء على ذلك اختلف العلماء : أيهما أفضل : العزلة أو الاختلاط ؟ فذهب فريق إلى أن العزلة أفضل ، واستدلوا بالأحاديث الأخيرة التى ترغب فى العزلة وترفع من شأنها .

وذهب جمهور العلماء إلى أن الاختلاط أفضل بشروط :

١ ـ سلامة الدين من الفتن .

٢ ـ وسلامة الناس منه ومن شرّه .

٣ ـ والصبر على أذى الناس وشرّهم .

واستدلوا بالنصوص المذكورة أولا، المبيّنة لفضل الخلطة، والحاضّة عليها، وأجابوا عن النصوص الداعية إلى العزلة : بأنها محمولة على الاعتزال فى زمن الفتن ، والحروب، أو فيمن لا يسلم الناس منه، ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص .

والذى أميل إليه هو الرأى الثانى ، فقد كان الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وجماهير الصحابة ، والتابعين ، والعلماء ، والزهاد مختلطين ، رجاء تحصيل منافع الاختلاط ، كشهود الجمعة ، والجماعة ، والجنائز ، وحِلق الذِّكر ، ودعوة الناس إلى المعروف ، ونهيهم عن المنكر ، والجهاد ، والمشورة . . . إلخ .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة الاختلاط بالناس ، ولزوم الجماعة ، شريطة ألا يؤدى ذلك إلى ضرر فى الدين ، أو فى النفس ، أو العرض ، أو المال ، أو النسل ، سواء كان ذلك الضرر واقعا عليه أو واقعا منه ، ويعين على الاختلاط :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الجهاد والرباط ٣/١٥٠٣، ١٥٠٤ رقم (١٨٨٩) من حديث أبى هريرة ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب العزلة ٢/١٣١٦ رقم (٣٩٨٠).

(٢) سبق تخريجه ص ٩١ .

* معرفة الفوائد والمنافع التى تعود عليه من وراء الاختلاط ولزوم الجماعة .

* وأنه أمر الله ورسوله ، ومنهج السلف ، وما عليه إلا أن يمتثل ويقتدى .

٢ ـ حمل النفس وتعويدها الصبر على أذى الناس ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** (١٧) ﴾ [لقمان] .

٣ ـ جواز العزلة والبعد عن الناس إذا كثرت الفتن ، وانتشر الشر والفساد ، وعجز عن الإصلاح ، بل وخاف على دينه ، وعلى نفسه .

الحديث التاسع عشر

قال رسول الله ﷺ :

« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلقُ أقتاب بطنه ، فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ فى الرحا ، فيجتمع إليه أهلُ النار ، فيقولون : يا فلان ، مالَك ؟ ألم تكنْ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقولُ : بلى ، كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكرِ وآتيه »

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة ٤ / ١٤٧ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ٤/ ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ رقم (٢٩٨٩)، وأحمد فى : المسند ٥ / ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ، ٢٠٩ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه به .

وأورده النووى فى : رياض الصالحين : باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله ص ١٠٦ ، ١٠٧ رقم (١٩٨) من حديث أسامة بن زيد به ، وعقّب عليه بقوله : « متفق عليه » .

معناه :

ينظر الناس إلى المسلم الداعية على أنه إنسان هانت عليه نفسه ، فجاهدها فى ذات الله حتى استخرج حظ الشيطان منها ، فلم يعد له عليها سلطان ، بل لم يعد لنفسه حظّ من نفسه ؛ لذلك تراهم يتأثرون بسلوكه وفعاله أضعاف أضعاف ما يتأثرون بكلماته وأقواله .

من هنا وجب أن يتحرى الداعية الدقة ، والصدق ،والأمانة فيما يأتى وفيما يدع ، بل لابد أن يكون سلوكه صورة تطبيقية لقوله ، وإلا فإن الناس سيحاكونه ، ويقتدون بأفعاله ، ناسين أو متناسين أقواله ، فيتحمل أثقاله ، وأثقالا مع أثقاله .

والحديث الذى نحن بصدده ـ الآن ـ تصوير دقيق وواضح لمصير صنف من الدعاة سيطرت عليه شهوة الكلام ، دون أن يصاحب ذلك سلوك طيب حميد . إن مصير هؤلاء يوم القيامة: أن تأتى بهم الزبانية موثقين بالأغلال ،ثم تلقى بهم فى النار ، فإذا بهم من شدّة وهول ما رأوا ، وما لاقوا تنهار أعصابهم ، وتتفكك أوصالهم ، وتخرج أمعاؤهم من بطونهم،فيدورون بها ـ والعياذ بالله ـ كما يدور الحمار فى الرّحا ، وهنا يجتمع عليهم أهل النار ، ويخاطبونهم فى استغراب وتعجب : مالكم يا قوم ؟ أى جرم ارتكبتم ؟ وأى ذنب اقترفتم ؟ وأنتم علماؤنا وأئمتنا ، كنتم تأمروننا بالمعروف ، وتنهوننا عن المنكر فيجيبونهم : حقا ، كنا نأمركم بالمعروف ، وننهاكم عن المنكر ، بيد أننا حرمنا أنفسنا من الخير ؛ إذ ما كنّا نأتى بالمعروف والذى نأمر به ، وأقبح من هذا : كنا نأتى المنكر الذى ننهى عنه ، وهكذا يفضحون على رؤوس الأشهاد جزاء استهتارهم بمنهج الله وتلاعبهم به دونما أدب أو استحياء .

بعض النصوص الواردة فى شأن من يخالف قوله فعله :

يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ [الصف] ، ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)** ﴾ [البقرة] ، ويقول سبحانه حكاية عن شعيب عليه السلام : ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾ [هود : ٨٨]

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال : قلت: من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء أمتك من أهل الدنيا ، ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون »(١) .

« إن أناسًا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار ، فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل »(٢) . . . إلى آخر هذه النصوص .

---

(١) أخرجه أحمد فى : المسند ٣ / ١٢٠ ، ١٨٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ من حديث أنس .

(٢) ورد فى : الفتح الكبير ١ / ٣٧٦ عن الوليد بن عقبة ، وعزاه إلى الطبرانى .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة أن يكون سلوك المسلم ـ لاسيما ذلك الذى يتصدى لدعوة الناس ـ مطابقا لقوله ، وإلا ضلّ وأضلّ ، فيحمل أوزاره وأوزارًا مع أوزاره . ويعينه على ذلك :

* أن يتذكر العقاب الذى ينتظره فى الآخرة على النحو الذى تضمنه الحديث .

* وأن يتذكر فضيحته ، وانكشاف ستره على رءوس الأشهاد .

٢ ـ ضرورة أن يعمل المسلم بكل ما يبلغه من أمر أو نهى ، حتى لو قَصَّرَ الآمر والناهى ؛ لأن تقصيره على نفسه : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)** ﴾ [المدثر] ، ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الزمر : ٧] ، ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)** ﴾ [النجم] .

٣ ـ ضرورة اتقاء النار ولو بشقّ تمرة ؛ فإن عذابها شديد ، ويبلغ من شدّته : أنه يؤدى إلى انهيار الأعصاب ، وتفكك المفاصل ، وخروج الأمعاء فى صورة مزرية قبيحة .

الحديث العشرون

عن أبى أمامة رضي الله عنه أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ : ما الإيمانُ ؟ قال : « إن سرَّتْكَ حسنتُك ، وساءتك سيئتُك ، فأنت مؤمن » ، قال : يا رسول اللَّهِ ، فَما الإثم ؟ قال : « إذا حاكَ في نفسكَ شيءٌ فدعه » .

تخريجه :

الحديث أخرجه المناوى فى : فيض القدير ٦ / ١٥٣ من حديث أبى أمامة وعمر به ، وعزاه إلى الطبرانى فى المعجم ، وإلى النسائى فى السنن الكبرى ، وإلى أحمد فى المسند ، ثم عقّب على رواية الطبرانى بقوله : « قال الهيثمى : ورجاله رجال الصحيح » ، وعلى رواية النسائى بقوله : « قال الحافظ العراقى فى أماليه : صحيح على شرط الشيخين » ، وعلى رواية أحمد بقوله : « قال ـ أعنى العراقى : حديث صحيح » ا . هـ .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ٣٧٥ رقم (١٤١٨) من حديث أبى أمامة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه أحمد » .

معناه :

يتميز المؤمن الصادق الإيمان بأنه يملك حاسة إيمانية دقيقة مرهفة ، تنبسط وتنشرح لفعل الطاعات حيث تصله بربّه ، وتنقبض وتضيق لفعل المعاصى والسيئات حيث تقطعه عن ربّه ، بل ويستقر فيها البر ، وتطمئن وتركن إليه ، ويتردد فيها الإثم وتقلق وتعرض عنه ، والحديث الذى بين أيدينا ـ الآن ـ يشرح ذلك بوضوح وجلاء ؛ إذ فيه يخبر النبى ﷺ من سأله عن الإيمان ، بقوله : المؤمن الكامل الإيمان الصادق فيه : هو الذى إذا فعل حسنة سرّته سرورا يحمله على مضاعفة جهده ، والذى إذا اقترف سيئة ساءته سوءًا يحمله على التوبة ، والندم ، والإقبال على الله .

كما يخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ نفس السائل الذى عاد يسأله ﷺ عن علامة الإثم ، بأنه الذى يتردد فى النفس ، وتضيق به ، ولا تركن إليه ، والواجب على

المسلم فى هذه الحال ، هو الإقلاع ، والابتعاد حتى يعيش آمنا مطمئنا .

وهاك :

بعض النصوص والآثار الأخرى الواردة فى معنى الحديث :

يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾ [الشمس]، ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ ﴾ [البلد] ، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ ﴾ [الإنسان] ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ⑬⑤ ﴾ [آل عمران] .

ويقول النبى ﷺ:

« إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، فقال به هكذا ، فطار » (١) .

« البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » (٢) .

ولما أفشى أبو لبابة الأنصارى سرَّ رسول الله ﷺ ـ وهو يشير على يهود بنى قريظة ـ أدرك خطورة الذنب الذى وقع فيه ، فحلف : لا يذوق ذواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه ، وانطلق إلى مسجد المدينة ، فربط نفسه فى سارية منه ، فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخرّ مغشيا عليه من الجهد ، حتى أنزل الله توبته على رسوله ، فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه ، وأرادوا أن يحلّوه من السارية فحلف : لا يحلّه منها إلا رسول الله ﷺ بيده ، فحلّه . . . (٣) .

وكذلك كان جميع السلف : إذا أحسن الواحد منهم فرح ، وأشرقت نفسه ،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب التوبة ٨/٨٣، ٨٤ من حديث عبد الله ابن مسعود . وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٣٠٨] ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٨٣ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تفسير البر والإثم ٤ / ١٩٨٠ رقم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان الأنصارى ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/٢٣٤] ، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق: باب فى البر والإثم ٢ / ٣٢٢ ، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٨٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ / ١٨٦ ـ ١٨٨ ، ط الريان ، والبداية والنهاية ٤ / ١١٩ ، ١٢٠ .

وانشرح صدره ؛ لأن الله وفقه للطاعة ، ثم يتابع نشاطه أكثر وأكثر ، وإذا أساء الواحد منهم حزن ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ، وامتنع عن الطعام، والشراب، وسائر اللذائذ ، والمتع الحسية ، وجد واجتهد ليمحو ما وقع منه ، ويظل هكذا حتى يدرك أنه أرضى ربّه ، فيعود إلى حاله الأولى .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ أن المؤمن ـ الكامل الإيمان ، الصادق فيه ـ يسرّ لفعل الحسنات ، فيكون ذلك حافزا له على مضاعفة جهده ، ويحزن لفعل المعاصى والسيئات ، فيبادر بالتوبة والندم والرجوع إلى ربه ، بيد أنه إذا أدى به السرور والفرح إلى الغرور والعجب والتكبر ، والقعود عن العمل ، فقد خسر خسرانًا مبينا ، وإذا أدى به الحزن إلى الأسى واليأس والقنوط من رحمة الله ،فقد ضلّ وكفر : ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** (٥٦) ﴾ [الحجر] . ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** (٨٧) ﴾ [يوسف] .

٢ ـ تضمّن الإسلام لمصادر ووسائل إلزامية تحمل على احترام منهج الله بصورة لا توجد فى أى نحلة أو مذهب آخر ، ومن بين هذه الوسائل : الفطرة التى تميز بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين البر والإثم ، فتطمئن وتستريح للأول ، وتضطرب وتقلق للثانى. هذا إذا كانت معتدلة لم يمل بها صاحبها ، وإلا ختم عليها، وتبلّدت ، واستوى عندها البر والإثم .

آخر الجزء الأول ويتلوه ـ إن شاء الله تعالى الجزء الثانى ، وأوله : حديث : « مَنْ فارق الجماعة شبرًا ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه ، والمقتدين بهديه ، والداعين بدعوته إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .